مصر ، والعرب عامة ، على خوض « لا معركة شاملة ضد اسرائيل ، ولا نشاط عسكري محدود » كما قال « حاييم تسادوك » ! وهكذا ايضا أنهى الجيشان المصري والسوري اسطورة « موشي ديان » القائلة « ان تفوقنا العسكري هو نتيجة مزدوجة لضعف العرب وقوتنا . وضعفهم يتجسد في مستوى جنودهم الضعيف والانشقاق بين الدول العربية»! وتبددت أيضا خرافة « القوة الرادعة للجيش الاسرائيلي وقوة اسرائيل الداخلية » التي تسكت مدافع العرب وتؤدي الى الاحتفاظ بحالة الهدوء على خطوط وقف اطلاق النار السابقة كما كانت «جولدا مئير» تتوهم ! واضطر الجنرال « حاييم بارليف » بعد الحرب ان يبرر انهيار الخط الدفاعي الذي تم انشاؤه تحت اشرافه اثناء توليه رئاسة الاركان خلال حرب الاستنزاف بقوله « ان هذه التحصينات اقيمت في حرب الاستنزاف كقواعد متماسك بعضها ببعض لكل عملياتنا على طول امتداد القناة ، وان اي انسان عادي يعرف ان عشرين تحصينا لم تكن لتوقف وحدها هجوما شاملا تشنها خمس ، او ما يزيد ، من الفرق المصرية . وفي مواجهة مثل هذا الهجوم كان يوجد جهاز شامل كانت التحصينات نفسها تشكل ضمنه عنصرا واحدا . وان الزعم بأن التحصينات لم تتمكن من صد المصريين هو قول احمق ، لانها لم تكن معدة لهذه الغاية اصلا . وقد سقطت التحصينات لانها كانت عبارة عن مواقع امامية فقط ، لا اكثر ولا أقل »(١٥)! فأين موضع هذه الاقوال من أقوال « ادوارد لوتيك » السابقة وغيرها من الدعايات الاسرائيلية حول خط بارليف الذي لا يقهر ! واضطر المعلق العسكري الاسرائيلي الجنرال « حاييم هرتسوج » ان يقول في تقييمه للموقف العسكري بعد اسبوعين من بدء القتال « لقد قام الجيش المصري يوم عيد الغفران بعبور القناة بقوة كبيرة ، ونجح في مهمته وتغلب على الخط الامامي الاسرائيلي ، وأقام مواقع تعتمد على رؤوس جسور على امتداد الضفة الشرقية للقناة »(١٦). كما اضطر « يتسحاق رابين » ان يقول يوم ١٩٧٣/١١/٩ بعد توقف اطلاق النار « لا يجوز طمس الحقيقة في اننا فوجئنا بالهجوم يوم الغفران ويجب اجراء تحقيق وأخذ العبر ويجب معرفة لماذا فوجئنا وكذلك صحة الافتراضات العسكرية والسياسية التي تمسكنا بها حتى نشوب الحرب »(١٧). وقال الجنرال « حاييم بارليف » ايضا هو الاخر حول الموضوع نفسه « ان الانتصارات المفاجئة للعدو في بداية الحرب نجمت عن ان الجهاز الدفاعي لجيش الدفاع الاسرائيلي لم يكن في الساعة المصيرية كامل الاستعداد لمواجهة خطر الحرب الشاملة »(١٧).

وقد تحققت في الجبهة السورية أيضا خلال المرحلة الاولى من الحرب انتصارات ضخمة وتعمقت القوات السورية أكثر من ٢٠ كلم في بعض المناطق وتكبدت القوات الاسرائيلية هناك خسائر فادحة ، كما تكبد الطيران الاسرائيلي خسائر شديدة للغاية في مرحلة الهجوم المضاد الاسرائيلي وخاصة في العمق فوق دمشق والمناطق القريبة منها كما أمكن صد الهجوم المضاد وايقافه تماما بعد ذلك . الا أن الهجوم الاسرائيلي المضاد في الجبهة المصرية استطاع بعد حوالي اسبوعين من بدء القتال أن يحقق تقدما هاما يتمثل في عبور القناة شمالي البحيرات المرة واحداث ثغرة بين الجيشين الثالث والثاني على الضفة الشرقية والغربية جرى توسيعها بعد ذلك ، خاصة عقب وقف اطلاق النار في ٢٢ اكتوبر الى حد تهديد خطوط مواصلات الجيش الثالث وقطع طريق السويس — القاهرة . ومن المؤكد ان هذا العبور الاسرائيلي كان تنفيذا لعملية أعدها العدو مسبقا خلال السنوات الست الماضية ، واجرى الاستطلاعات والتدريبات اللازمة لها لتكون ردا على أي عبور مصري محدود في القسم الشمالي من القناة كما كان متوقعا .

تلك هي باختصار نتائج التطبيق العملي للعمل العسكري العربي ذي الاهداف الاستراتيجية العسكرية المحدودة نسبيا . ونحن نعتقد ان تحقيق الهدف السياسي للحرب كان يمكن ان يضمن ظروفا أفضل وأكثر ملاءمة وامكانا للتطبيق المطلوب وفقا